سرّ الحياة

لا ريب ان سرّ الحياة من اغمض الاسرار التي حارت دون توسمها بصائر الحكمآء وضلّت في تتبع آثارها روّاد البحث وما زالت شغلاً شاغلاً للعلمآء من اول الدهر بما اوتوهُ من الذرائع في كل عصرٍ من اعصارهم وفي كل طورٍ من اطوار العلم ولهم في تعريفها وبيان كنهها مذاهب لا تُحصى كثرةً ولا تتلآءم بعداً حتى انهم لم يختلفوا في شيءٍ من الحقائق اختلافهم فى هذه المسئلة وهو ولا جرم دليلٌ على شدّة خفآئها واستسرارها مع عظم خطورتها واهمية مكانها . وقد اخذوا اليوم يتتبعون ادلتها بالحسّ والتجربة على ما عُرف من دأب العلمآء في هذا العصر ومن اغرب ما قرأناهُ في ذلك فصلٌ نشرهُ المسيو كاميل فلاماريون الفلكي المشهور وهو من الذين صرفوا شطراً من اهتمامهم في استطلاع اسرار الحياة والنفس فاحببنا ايراد الفصل المذكور في هذا الموضع فكاهةً لقومٍ وتبصرةً لآخرين وهذا تعريبهُ بتصرفٍ قليل قال

خاضت الجرائد في هذه الايام في خبر الامتحان الذي اجراهُ الدكتور ڤليو في رأس لاپومراي بعد قطعهِ بالمقصلة ومحصلهُ انهُ كان قد زار المذكور وهو في محبسهِ بعد ما حكم عليهِ بالقتل فتلطف في محادثتهِ واظهر لهُ امل العفو ثم قال لهُ لكن على فرض ان هذا الامل اخطأ فاني ارغب اليك ان تجيبني الى ادآء خدمةٍ للعلم يكون لك بها الذكر الذي لا يمحى . قال وما ذاك . قال انك طالما كنت محباً لهذا العلم حريصاً على توسيع مداركهِ وتعلم ان هناك اسراراً

جمّةً لا تزال محجوبةً علينا فهل توافقني على انهُ اذا قُضي عليك اضع فمي في اذنك واقول لك يا لاپومراي هل تسمعني فاذا قلت لك ذلك وبقيت تتذكر ما دار بيني وبينك تجيبني بان تطرف بجفن عينك اليسرى ثلاث مرات

قالوا وفي ساعة انفاذ الحكم كان الدكتور حاضراً فللحال تناول الرأس ووضع فاهُ في اذنهِ وخاطبهُ بتلك الالفاظ فطرف بجفن عينهِ اليسرى ثلاث مرات وكانت المرة الاخيرة حركةً ضعيفة تدلّ على الجهد . هذا مجمل الخبر وهو ما قرأتهُ اذ ذاك في احدى الجرائد المهمة الا ان الاب كروز الذي دُعي لتزويدهِ الزاد الاخير انكر صحة هذه الرواية وقال انهُ لم يكن عند القتيل احدٌ حين القضاء عليهِ وحينئذٍ فمما يوجب الاسف انا نرى اولئك الكتاب ينقلون ما لا حقيقة لهُ غير مبالين بما يكون عن احاديثهم من تضليل العقول

قال ولما رُوي هذا الخبر كنت في نيس وسمعت اناساً من الاطبآء يتباحثون في الامر وقد اختلفت مذاهبهم بين تصديقهِ وتكذيبهِ واتفق في اليوم الثاني اني بينا خرجت بقصد التوجه الى المرصد اخذت في جهة القار ولي هناك نسيبٌ مولعٌ بالازهار والرياحين وقد انشأ ثَمَّ حديقةً جمع فيها انواعاً مختلفة من نبات الاقاليم الحارّة فجعل بعضها في بيوت من الزجاج وغرس بعضها في الارض . وكان في الموضع نفسهِ صديقٌ لي يتعاطى فن التبْوِية[1] فاتفق في ذلك اليوم انهُ لم يتيسر لهُ صيد شيءٍ من الحيوان

(١) مصدر بوّى الحيوان اذا حشا جلدهُ تبناً او حشيشاً لحفظ شكله والكلمة غير محكيةٍ عنهم انما اخذناها من البوّ وهو جلد الحوار اي ولد الناقة يحشى تماماً او تبناً ثم يدنى منها لتعطف عليه وتدرّ (معرَّب empailler)

ليعالجهُ بصنعتهِ فعمد الى التقاط الجراد وقد رأيت عندهُ ست جراداتٍ قد بوّاها ووضعها على لوحٍ من الخشب وشكها بدبابيس ضخمة . فاخذت واحدةً منها لأتأمل في اعضآئها واذا هي افلت من جرادة العيّار فما شعرت الا وقد تملصت من بين انامل ووثبت من النافذة . فأخذ مني الدهش حتى لم اكد اصدّق عينيَّ الا اني كنت لا ازال اشعر بما ابقاهُ مرور اواشرها (جمع آشر وهو الشوك في ساق الجرادة) على اصابعي وقد اعتمدَت على يدي في وثبتها فلم اتمالك ان صحت صيحة العجب . ولكن ذلك الصديق اجابني وهو غير حافلٍ بالامر ويدهُ دائبةٌ في تفريغ جرادةٍ اخرى فقال ان هذا مما لا عجب فيهِ فان هذا الحيوان ذو حياةٍ صلبة . اما انا فكان ذلك عندي منتهى العجب ونهضت للحال الى المائدة التي امامهُ لأرى كيف يصنع فوجدتهُ يأخذ الجرادة بين ابهام يدهِ اليسرى وسبابتها ثم يمرّ شفرة السكين في جسمها من عند رأسها الى آخر البطن وبعد ذلك يجافي جانبي الشق بملقطٍ ويستخرج كل اعضآئها فيفرغها تفريغاً تاماً حتى لا يبقى الا غلافها الظاهر مع الرأس والجناحين والقوائم . فلما انتهى من تفريغ التي في يدهِ سألتهُ ان احشوها انا بالقطن واخذتها ووضعتها على المائدة وفيما كنت اهيئ لها كتلة القطن اذا بها قد وثبت ايضاً وطارت من النافذة . فقال أجَلْ ان الحياة في الرأس . انظر الى هذه الرؤوس الضخمة ثم ما لها من الفعل الهائل حتى انها لتدمّر بلداناً برمتها فلا تترك على آثارها الاّ الخراب . قلت فلننزل الى الحديقة نأخذ بعضاً منها ونقطع رؤوسها لننظر هل تعيش من غير رؤوس . فنزلنا والتقطنا اثنتي عشرة جرادة فقطع رؤوسها

ولكنها حالما قُطِعت رؤوسها طارت فوقعت على ما هناك من الشجر وكانها لم تشعر بما حدث لها واما الرؤوس فلم تمت ولكنها لم تزل تحرّك احناكها وزُبانَياتها (جمع زُبانَى وهي شبه القرن في رأسها مأخوذ من زُبانَيي العقرب)

فنويت ان اتابع الامتحان في هذه المسئلة الى آخرهِ وقبل ان افصل عن الموضع سألت نسيبي ان يبعث اليّ في الغد بعدةٍ منها يقطع رؤوسها وينفذها اليّ الى نيس وكان ذلك في ثامن مارس الاخير فوردتني في التاسع منهُ علبةٌ فيها ٣١ جرادة قد قُطعت رؤوسها وكانت كلها حيةً نشيطة وفي العاشر كشفت عنها فوجدتها قد ضعفت قليلاً الاّ انها عند فتح العلبة طارت باجمعها في الغرفة . ثم انهُ في اليوم الحادي عشر مات منها اثنتان وفي الثاني عشر مات ٦ وفي الثالث عشر ١٣ وفي الرابع عشر ٦ وفي الخامس عشر ٢ وفي السادس عشر ١ وفي السابع عشر بقيت واحدةٌ منها حيةً فامسكتها لآخذها فاذا بها قد طارت بشدّةٍ وتركت ساقها في يدي . وعاشت بعد ذلك ستة ايام اخر وكانت في ٢١ من الشهر لا تزال تحرّك الساق الاخرى التي بقيت لها وتحرك ايضاً القائمتين الصغريين وكان بطنها ينتفخ ثم يضمر كما يكون في حال التنفس ولا سيما اذا وخزتها برأس ابرة . وفي ٢٢ كنت اذا نقرت عليها تنفض ساقها ولم تمت الا في ٢٣ من الشهر اي بعد ان قُطع رأسها بخمسة عشر يوماً

ثم ذكر بعد ذلك انهُ امتحن غير هذه بان قطع رؤوسها وفرّغ اجسامها فعاشت ايضاً وكانت تتحرك وتنتقل قال فتبين لي ان الحياة ليست في رؤوسها ولا في ابدانها وانما هي في العُقَد العصبية المنتشرة من الرأس الى التجويف

الصدري الاّ انها ليست بالرأس اخصّ منها بغيرهِ . ولكي يتوصل الى كنه هذه المسئلة استعان بصديقٍ لهُ من علمآء التشريح على اتمام هذه التجارب وكان قد استحضر جراداتٍ اخر فقطع رأس احداها مع العنق وهو الحلقة الاولى من حلقات الصدر الثلاث ثم تفقدها في اليوم الثاني فوجدها حيةً وكانت تثب مسافة ٨٠ سنتيمتراً ولم تمت الا في اليوم الرابع واما الرأس والعنق فماتا في اليوم الثالث . ثم امتحن في غيرها فصل البدن بتمامهِ ولم يترك الا الرأس والحلقتين الاولين اي ان الحلقة الثالثة التي تتصل بها الساقان قُطعت مع البطن فوجدها في اليوم الثاني حيةً وكانت تحك رأسها بقائمتيها الصغريين وماتت في اليوم الرابع واما الحلقة الثالثة والبطن فماتا للحال فتحقق ان الحياة منحصرة ما بين الرأس والحلقتين الاولين من الصدر . ثم امتحن في اربعٍ منها بان فصل البدن وابقى الرأس والعنق وهو الحلقة الاولى فعشنَ اكثر من ٣٠ ساعة وامتحن الحلقة الاولى وحدها بدون الرأس والبدن فعاشت عدة ساعات

قال على انهُ من اليقين الثابت انهُ لا جامعة عضوية تربط بين الانواع الراقية والانواع السافلة من الحيوان وليس في الامكان ان نطبّق هذه الامتحانات على الانسان . بيد أنا اذا اعتبرنا امر الحياة على العموم وجدنا ان من الحيوانات ما لا تنحصر الحياة فيهِ في حيّز معيَّن ولكنها تكون منتشرةً في مجموع من الاعضآء واما في الانسان فان الدماغ وحدهُ هو الذي يدرك وكل اثرٍ للالم او اللذة لا يتأدى الى الدماغ عن طريق العصب لا يُشعَر بهِ واذا فُصل الرأس عن الجسد بطل الحسّ وبخلاف ذلك الانواع

المشار اليها فان البدن يمكن ان يعيش بدون الرأس ولعلهُ ايضاً يشعر ويتألم . على انا اذا رجعنا النظر في الامتحانات المذكورة في الجراد لم يتأتَّ لنا ان نحكم بتمام شعورها بل الاظهر ان حسّها لا يزيد على حسّ النبات لانها كانت عندما تُقطَع رؤوسها وتشرّح وهي حية وتُنزع احشآؤها لا يظهر لها ادنى حركة انقباضية . ثم ان كلاً يعلم انهُ اذا اراد احدٌ امساك جرادة تركت ساقها في يدهِ وافلتت غير مبالية بما تركت ولعل الجرادة التي قُطع رأسها منذ ثمانية ايام لا تكون علمت بذلك وان لبثت حيةً ويا لها من حياةٍ عجيبة

لا جرم ان سفر الطبيعة العظيم لم يُتصفح بعد بجملتهِ وقد بقي في هذه الارض الصغيرة من مواضع الاكتشاف العلمي ما لا يقلّ عما في الفضآء المحيط بتمامهِ . انتهى

مُتَفَرِّقَات

معرض الاحداث — جآء في احدى الجرائد الفرنسوية تحت هذا العنوان ما تحصيلهُ

بعد ان انقضى معرض السنة الغابرة في پاريز وهو معرض الرجال عُقد العزم على ان يقام في هذه السنة معرضٌ للاحداث في غُرَف القصر الاصغر بالشانزليزاي يُعرَض فيهِ كل ما يتعلق بالاولاد من اللُعَب الصغيرة